في عالم الكتب

الشوامخ (*)

خصائص الشعر الجاهلي وأعلامه

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

خيل إلي وأنا أقرأ هذا الكتاب الطريف الممتع أنني أقرأ لشيخ من شيوخ اللغة والأدب لا لرجل عل من الثقافة الأوربية ونهل، وغاص في بحار المحفوظات والأضابير والوثائق التاريخية يستخرج منها تاريخا لأميراطورية محمد علي الكبير، أو يكتب بالفرنسية كتابا عنوانه: La Genèse de l'Esprit National Egyptien أو يؤرخ بالعربية للثورة الفرنسية ونابليون.

ولكن الدكتور محمد صبري يستوي عنده التاريخ والأدب مادام في ذلك رضى لحاسته الفنية الرفيعة، أو رضى لقوميته المصرية العريقة، أو رضى للغته العربية وأدبها الغني السمين.

ومجيب أن هذا الرجل الذي يقرأ في الفرنسية، ويكتب قادراً بالفرنسية، ويؤرخ لأحداث العصر الحديث يطوي القرون القهقرى حتى يأتي «امرأ القيس» في أموره وخموره؛ ويأتي «طرفة» في رحلته وناقته، ويأتي «زهير بن أبي سلمى» في حكمته ومدائحه وفي المهاة التي شبه بها ناقته. ثم لا يكتفي بذلك فحسب، بل تراه ضاربا مع الجاهليين في الخيام، هائما معهم في كل دوية؛ يلاحظهم وهم يشدون الأكوار على الرحال، أو يلعبون الغابلة في الرمال، أو يطاردون بالكلاب المضراة الغيران؛ أو حين تخرج الأرامل الشُّعث يحملن المناقع الى رجل كريم فتح بابه للسؤال، وتهلل وهو بيت النوال ....

(*) طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في ١٥٢ صفحة — الجزء الثاني.

والحق أن في الشعر الجاهلي كثيراً من غريب الألفاظ باعد الزمن بيننا وبينها، فتغيرت على أذواقنا وتوعرت على أسماعنا. ولكن الدكتور محمد صبري — جزاه الله أحسن الجزاء — قد ألف بيننا وبين هذه الثروة المذخورة من الألفاظ؛ فقد عرض الشعر الجاهلي عرضا متبوعاً بشرح غريبه؛ فلا تلبث حتى ترى نفسك أمام شعر خلع التفسير عليه جمال الوضوح، فبدا رائعاً في شرحه، رائعا في متنه. وإذا بك ترى هذه الألفاظ المهجورة الموحشة مأنوسة مألوفة؛ وإذا بك تجد الحس بينك وبين العربي مشتركا، وتجد التجاوب بينكما متبادلاً. فتقف أمام البيت من الأبيات وأنت تكاد تحس فيه قلب الشاعر أو همس الخاطر ...

والمؤلف نفسه متأثر بالأسلوب العربي الرصين؛ ويخيل إلى أنه عنده حاسة يتخير بها اللفظة الملائمة مهما كانت غريبة؛ ولعله واثق أن إعادة استعمالها قد يضفي عليها الحياة من جديد. ولعله ناجح فيما هو بسبيله من ذلك. فقد وصف في صفحة ٥٨ مناظر الصيد والطرد بأنها «مرعبلة» ثم عاد في ص ٦٣ فشرحها في بضعة أسطر شرحا يجذبك إلى استعمالها ويحملك على الأخذ بها.

والدكتور صبري محب للشعر الجاهلي، ولا نغالي إذا قلنا إن حبه إياه قد جرى مجرى الدم في مفاصله. وفي كل صفحة من الكتاب برهان ذلك ومصداقه. ولكنه أعلن ذلك الحب وجاهر به مصرحا في ص ٧١ حيث يقول «وإني أحب الشعر الجاهلي وأحب أسلوب الجاهليين». ولو أنا وجدنا بيننا من يحب الأسلوب الجاهلي كما أحبه صبري ماشكونا الآن من «ميوعة» بعض الكتاب والشعراء المعاصرين الذين لا يبالون بلفظ ولا يحفلون بأسلوب. ولكن منهم من القول أن يرصوا الكلام رصاً. من غير أن تكون لتلك الألفاظ التي يستعملونها دلالة خاصة — تلك الدلالة التي تجعل الأديب المعرق يؤثر لفظا على لفظ أو أسلوبا على أسلوب.

وفي الشعر الجاهلي لوحات فنية كثيرة لم يغفلها المؤلف، ولكنه أبرزها في غير أطرها غير مغفل جمال اللوحة نفسها. وهو حينا ناقد فني بصير. ولا نخوته من حين إلى حين الموازنة

بين صورة ناطقة لشاعر وصورة صامتة لمصور.. فصورة « طرفة » التي يقول فيها :

وجالت عذارى الحي شتى كأنها توالى صوار والأسنة ترعف

تذكّره بصورة لرافائيل الإيطالي كانت موضع نقد من النقادة الفرنسي Muntz ص ١١٠

وقولة حميد الراجز في صفة القلب عند وشك الفراق تذكره ببيت للشاعر « ڤرلين » ص ١١١ . ولوحات الشعر الجاهلي الحيوانية تذكره بالمثال المصور الحيواني (بارى) ص ٥٧ .

وإذا كان أبو نواس لم يفطن إلى نعت الإبل وناعتها فأن المؤلف يلومه على هذا الاغفال لحقيقة فطن إليها الجاهلي في شعره — ص ٧٠ .

وهكذا ترى المؤلف فطنا إلى مافي دقائق الشعر الجاهلي من تمثيل وتصوير، حتى كاد كتابه يكون قائما كله على هذه الناحية ، وهو على ذلك مثن عليه أطيب ثناء. إلا أنه — في بعض مواطن من الكتاب — قد يعدل عن الرسم الصحيح للشعر . وكان خيرا لو راعى الوزن في الرسم كما راعى التقصي في البحث . ففي صفحة ٧٢ البيتان السادس والثامن من شعر البحتري لم يرسما على نهج صحيح .

وفي صفحة ٤٨ ذكر البيت المشهور :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خماصا

والصواب (يبتن خمائصا) على وزن فعائل كما ورد في الأمالي حـ ٢ ص ١٥٨ طبع دار الكتب . وفي صفحة ٤٧ نسب البيت المشهور : —

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

إلى الشاعرة ليلى الأخيلية . وقد نسبه ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى الفارعة أخت الوليد بن طريف وقيل فاطمة وقيل ليلى . ولكنها على كل حال غير ليلى الأخيلية — راجع وفيات الأعيان حـ ٢ ص ٢٣٦ الطبعة الأميرية البولاقية

وفي صفحة ٨٧ (قال أبو الهندى ..... يصف أباريقا) . ولعلها أباريق ممنوعة من الصرف . وفي صفحة ٦٩ (ترى المصور أو الشاعر مولع) وهي من أخطاء الطبع . وفي صفحة ٥٤ (إذا نظرت إلى الجمل .... لتبينت) . واللام لاتقع جوابا لاذا الشرطية وإنما تقع جوابا (للو) في حالة الأثبات غالبا

وفي صفحة ٦٥ (فيمكن للمصور تجريدها) واللام هنا لاعمل لها .

وفي صفحة ٧٢ (حاول الأدباء . . . . تحديد مراتب وطبقات الشعراء) والأولى أن يقال (تحديد مراتب الشعراء وطبقاتهم) . فقد أولوا قول الفرزدق (بين ذراعي وجبهة الأسد) على تقدير مضاف اليه محذوف أي بين ذراعي الأسد وجبهته — المفصل للزمخشري مطبعة الكوكب الشرقي ص ٥٠ وفي صفحة ١٢٣ وردت الآية الكريمة هكذا (فما بكت عليهم الأرض والسماء) . وصحة الآية (فما بكت عليهم السماء والأرض) .

تلك مآخذ شكلية لا تمس لباب هذا الكتاب القيم الذي نتوقع له من الرواج ما يتفق وإخلاص المؤلف في نيته وتحمسه لفكرته وافتخاره بعربيته — حفظ الله به الأدب..

محمد عبد الغني حسن

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف بشارع الفلكي بمصر بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها في داخل الصندوق المخصص لذلك في إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٤٥ عن توريد صناديق الخشب الفوارغ

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكي بمصر نظير دفع مبلغ ١٥٠ مليم

٣١٦٩

الرسالة والمروءة

الفهرس

صفحة

١٥٧ الرباط المقدس ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

١٥٩ أبو العلاء المعرى ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

١٦٣ فى عيد المعرى ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...

١٦٥ منخفض القطارة فى صحراء مصر الغربية : الأستاذ ستانلتون ترول ...

١٦٨ خواطر متساوقة فى النقد والأدب والأخلاق ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...

١٧١ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

١٧٢ من دعاة الحرية ... ... : الأستاذ زكريا إبراهيم ... ...

١٧٣ أدب الشام الحديث ... ... : السيدة وداد سكاكينى ...

١٧٥ صفحة حزينة ! ... ... (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن صدقى ...

١٧٦ كرسى مجلس النواب ... « : الأستاذ محمد الأسمر ... ...

١٧٧ هذا العالم المتغير ... ... : الأستاذ فوزى الشتوى ...

١٧٨ همس الجنون ... ... (قصة) : الأستاذ نجيب محفوظ ... ...

١٨١ « البريد الأدبى » : بين صديقين — شرح لامية العجم ، ما اسمه ؟ — من ناظر إلى فراش ... ...

١٨٣ المنطق ... ... (كتاب) : الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

اطبعوا مطبوعاتكم فى :

مطبعة الرسالة

حيث تجدون فيها

الدقة ، والسرعة

والنظافة ، والذوق

واعتدال الاسعار

ظهر المجلد الثانى من كتاب :

وحى الرسالة

بقلم

أحمد حسن الزيات

وهو مجموعة متنوعة من أدب الاجتماع والنقد والحب والسياسة

يطلب من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه أربعون قرشا غير أجرة البريد .